الحرب والسياسة

الرسالة الثانية عشرة

القدس في ٣٠ آذار سنة ١٩٤٢

ايها القارىء العزيز

وقعت فى الاسبوع حوادث تهم هذا الشرق الى ابعد حد. الاولى تعيين المستر كيزي وزير اوستراليا المفوض فى الولايات المتحدة، وزيراً الدولة البريطانية فى الشرق الاوسط (ومقره القاهرة)، وهذه اول مرة فيما نعرف يعين اوسترالي عضواً فى وزارة الحرب البريطانية فى الشرق. والثانية — وصول السر ستفورد كريبس عضو الوزارة الى الهند بمهمة خاصة هي مباحثة زعماء تلك البلاد فى المشروع الذي وضعته الوزارة ووافقت عليه بالاجماع، ورأت انه يحقق آمال الهند ومطالبها فى الحكم الذاتي الواسع النطاق. والثالثة، هي وصول الجنرال سبير الى القاهرة فى طريقه الى سوريا ولبنان ليستلم منصب الوزير المفوض لبريطانيا العظمى فى القطرين الشقيقين بعد اعلان استقلالهما وهذه اول مرة فى التاريخ يمثل بريطانيا فى سوريا ولبنان وزير مفوض بل هذه اول مرة منذ قرون عديدة يتمتع اخواننا في الشمال باستقلالهم الذي وعدتهم به بريطانيا ونفذت وعدها كاملا دون ان تنتظر انتهاء الحرب.

والأمل عظيم فى نجاح مهمة السر ستفورد كريبس بالهند، لأن زعماءها يدركون ولا شك عواقب الانقسام والتفرقة. وقد قلنا فى

فى كثير من المشاريع والبرامج التي تعود بالنفع والخير على البلاد . وفى النية الآن توسيع صلاحيات المختارين في القرى ورؤساء العشائر حتى يمثلوا سلطة الحكومة بمقياس اوسع من تمثيلهم الحالى . ولا يجوز ان ننسى ماقررته الحكومة من تخويل سكان القرى حق انشاء مجالس محلية تعنى بشؤونهم ، وتشرف على صحتهم ومساكنهم وطرقهم وتدافع عن مصالحهم . فهذه الامور مجال لاختبار صلاح الامة للحكم الذاتى ومتى تدربت عليها واثبتت جدارتها ، تقدمت مرحلة ثانية فى سبيل ذلك الحكم .

هذا مايتعلق ببعض الشؤون السياسية المتعلقة بالشرق ومنه يستدل القارىء على رغبة الحكومة البريطانية الصادقة فى تحقيق آمال الشرقيين وسعيها الخاص لبث روح الثقة والتفاهم بينهم ، وقد خرجنا نحن العرب حتى الآن باستقلال سوريا ولبنان وصيانة استقلال العراق رغم عبث بعض الخونة المارقين بمقدراته وتأييد استقلال مصر ، وها هي مصر انتخبت ممثليها فى البرلمان بملء حريتها واعلنت عزمها على تنفيذ معاهدة الصداقة التي عقدتها مع بريطانيا ، روحا ومادة وعلى توطيد الروابط الودية بين الامتين المتحالفتين ،لان هذه الروابط مستمدة من صميم مصالحها وضرورية جداً لسلامة مصر .

واذا القيت ايها القارىء نظرة نحو اوروبا لراعك ما تجده من الانقسام وسوء الظن، لا بين المانيا والاقطار التى احتلتها بالقوة الغاشمة بل بين المانيا والدول التى خضعت لها تحت ستار من التحالف والتعاهد . فهناك خصومة شعواء بين رومانيا والمجر ناشئة عن اتفاق فينا الذي املاه هتلر فخسرت الاولى به مقاطعة ترانسلفانيا وهناك خصومة بين رومانيا وبلغاريا ، وبين بلغاريا والمجر ، وقد ظهرت هذه

العدد السابق ان بريطانيا منذ سنوات عديدة اعلنت فى صراحة انها عازمة على ان تعطي الهند نصيبها الكامل من الحكم الذاتى اذا اتفق زعماؤها على نوع هذا الحكم وطريقة تنفيذه ، ولكن الزعماء مع الاسف الشديد لم يتقدموا خطوة واحدة نحو التفاهم ، وظل كل فريق متصلباً فى رأيه وبرنامجه . اما وقد دنا الخطر من الهند ، واعترف كل زعيم بهذا الخطر ودعا انصاره الى الاستعداد لصده ومقاومته ، فلم يعد ما يمنع الهنود من طرح انقساماتهم والالتفات الى قضيتهم الكبرى والاصغاء الى صوت العقل والاستفادة من هذه الفرصة السانحة ، حتى يخرجوا من مفاوضاتهم مع رسول بريطانيا متفاهمين متحدين على تنفيذ ما فيه سلامة وطنهم ونيله ما كان يطمح اليه من الاستقلال .

والواقع ان الظرف الحالي يتطلب تدابير واجراءات سريعة، وقد صرح السر ستفورد بان الوقت وقت عمل ، ولا مجال لاضاعته بالمناقشة والكلام. واعلن انه سيبقى فى الهند مدة اسبوعين يتحدث خلالها الى الزعماء ورؤساء الاحزاب فى المشروع الذي وضعته بريطانيا .ولا ننسى ان نقرر فى هذه المناسبة ان السر ستفورد صديق للهند ، من جهة ، وان جميع زعماء الهند بلا استثناء اخصام للتوسع اليابانى وقد اعلنوا موقفهم بجلاء ووضوح قبل سنوات عديدة واعربوا عن عطفهم على الصين ، ولما دخلت اليابان الحرب طلب كل واحد منهم الى بنى قومه ان يقفوا الى جانب بريطانيا وان يؤيدوها ضد هذه الدولة العاتية واذا نظرنا ال اراء الزعماء الهندوس، وبالاخص للهاتما غاندي وجوهر لال نهرو لادركنا انها من الد اخصام العدوان ، وطالما ندداً بالديكتاتورية واستنكرا اللجوء الى القوة والعنف . وحملا الهنود على تطبيق هذا المبدأ فى مطالبهم الوطنية ، ولما نشبت الحرب الحاضرة ارتفع صوت للهاتما غاندي عالياً باستهجان الوحشية النازية والطعن عليها وقال ان انتصارها سيؤدي بالعالم الى ظلمات الفوضى وسيقضى على اشرف المبادىء والعقائد الانسانية ، وسيجعل السيطرة والسلطان للقوة الغاشمة بدل الحق والفكر .

المنازعات بشكل واضح فى حملات خطابية شنها رؤساء الحكومات وحملات صحفية نشرتها الصحف . وقد وصف احد الدبلوماسيين المحايدين هذه الحالة بقوله : بدأت العجلات الصغرى فى مركبة المحور تتحطم ، ومما لاشك فيه ان هذا النزاع الحاد سيؤدي الى نقصان المساعدات العسكرية التى تطلبها المانيا من هذه الدول ضد روسيا والى اثارة المخاوف والشكوك فى نفوس السكان . فهتلر الذي استخدم عدداً وافراً من قواته الاحتياطية التي اعدها لهجوم الربيع فى محاولة وقف الزحف الروسي ، بدأ يشعر ان موارده الخاصة لاتكفي للنجاح فاخذ يصر على هذه الدول ان تزيد عدد الجيوش وللمعدات التى سترسل الى الشرق فلو فاز هتلر بمطالبه هذه ، فانه سيجدان القوات التى ستنضم الى جيشه لن تفيده كثيراً فقواها المعنوية ستكون اضعف من قوى الجيش الالمانى — رغم ضعفها وتدهورها — لأنها تعرف انها مسوقة الى الموت رغم ارادتها ودون ان يكون لوطنها نفع من اشتراكها فى القتال ، ولا نغالي اذا قلنا ان هؤلاء الجنود سيكونون اول من يفر من الميدان الى الخطوط الروسية .

اما الحرب السرية الخطيرة فقائمة بين المانيا واليابان ، لأن هتلر كان يمنى نفسه باستخدام الدولة الثانية فى مصالحه الخاصة ، وكان يريدها ان تهاجم روسيا وخطوط المواصلات البريطانية فقط حتى يحمل الاولى على الحرب فى جبهتين وتقطع الصلة بين الجزر البريطانية والولايات المتحدة لكن اليابان ارادت للتوسع والاستعمار ولم تحقق شيئاً من آمال هتلر ، فاخذ هذا يبدي سخطه بان جعل الصحف الالمانية تلفت انظار اوروبا واميركا الى الخطر الاصفر ، وصارت محطات الراديو الالمانية لا تخفى نقمتها على هجوم اليابان على مناطق

وقد ظهرت ميول الهند على اتم صورة في الاستقبالات الحافلة التي لاقاها المارشال شان كاي زعيم الصين اثناء زيارته القصيرة لتلك البلاد فقد رحب به الزعماء على اختلاف نزعاتهم وطوائفهم وابدوا له صادق العطف على الصين فى نضالها المشرف ودفاعها عن استقلالها ووحدتها وكرامتها ووعدوه بكل مساعدة ممكنـة ، واذا جاز لنا القول بان زيارة المارشال كانت اختباراً او استفتاء لمعرفة اتجاهات الهنود ، فاننا عظيمو الامل فى نجاح مهمة السر ستفورد كريبس ، حتى تتضافر الجهود والعزائم على توطيد استقلال الهند ومساهمتها الى اقصى حد فى الدفاع عن الحرية .

وما دمنا في صدد الحديث عن منح الامم مطالبها ، لابد لنا من الاشارة الى الخطوات الواسعة التي تخطوها فلسطين فى سبيل الحكم الذاتى ، وهي خطوات ثابتة رصينة ، ستنتهى مرحلتهـا الاولى فى تطبيق الكتاب الابيض الذي وضعته الحكومة البريطـانية وصدقه البرلمان واعرب الوزراء غير مرة عن تصميم الوزارة على تطبيقه . ومن الدلائل التي نسوقها فى هذا السبيل توسيع صلاحيـات المجالس البلدية وتخويلها حقوقا جديدة من ذلك تأليف المحاكم البلديه للنظر في مخالفات الانظمة ، بعد ان كانت هذه الامور من اختصاص محاكم الصلح . ولما اشتدت وطأة الاستغلاليين وعظمت اطماعهم رأت السلطات ان توسع صلاحيات البلديات وان تعهد اليها فى مـكافحة هذه الفئة فالفت محاكم البلديات لهذه الغاية . وهذه المحاكم اوسع صلاحية من المحاكم النظـامية لأن قراراتها غير قابلة للاستئناف . ولا ينكر احد ماقدمته هذه المحاكم من خدمات للاهلين ، فهي من الشعب والى الشعب .

ومن هذه الخطوات ايضا استشارة الحكومة مجالس البلديات

كان هتلر يطمع في احتلالها مثل جزر الهند الهولندية وغيرها . وقد اجابت اليابان على هذا التحدي بمثله ، ولم تنشر صحفها ولم تذع محطاتها من خطاب هتلر الطويل المريض الا بضعة اسطر قليلة .

ولا تنس الخصومة المستمرة النيران بين الالمان والايطاليين.

ومن البديهي ان الخلاف الناشب بين هذه الدول المعتدية والدول المنضوية تحت لوائها سيكون له الاثر السيء على خططها الحربية وعلى نفوس سكانها بحيث تفقد الواحدة منها ثقتها بالثانية وتنشأ الاحقاد والخصومات بين جيوشها المختلفة .

والق نظرة الآن على الجبهة الديمقراطية فماذا تجد ؟ تجد اتحاداً منقطع النظير في قوته ومتانته، وتفاهما وطيداً على الخطط والاهداف، في الحرب وفيما بعد الحرب . فقد كان القائد العام للقوات المتحالفة في جاوا هولنديا، والقائد العام في اوستراليا الآن اميركي . وفي بورما الان جيشان صينيان يحاربان الى جانب البريطانيين يقودهما اميركي موظف في حكومة الصين الوطنية . بل ان تعيين المستر كيزي في منصب وزير الدولة بالشرق الاوسط لاقوى دليل على وحدة الاهداف والغايات . والخطط الحربية والسياسية عند الديمقراطيين ترسم وتقرر دون حاجة الى مؤتمرات ومشاورات تستغرق وقتاً طويلا ، فاجتماع المستر تشرشل والرئيس روزفلت وضع الاسس اللازمة للتعاون المطلق ، وما بقي بعد ذلك يحل بسرعة على ضوء القواعد التي قررت في ذلك الاجتماع . ونرى تناسق الجهود بين الدول الديمقراطية على اوسع مدى في الانتاج الحربي وفي بناء السفن . وقد قلت في رسالتي

السابقة ان الدول الديمقراطية فى حاجة الى سفن حربية وتجارية ، وفى وسعها الحصول على ما تريد منها بفضل وفرة المواد الاولية والثروة العامة وسلامة الاحواض التى تبنى فيها ، اما حاجة هتلر الى البترول فاصبحت تهدد آلته الحربية ، لأن جميع خططه في الحصول على البترول حبطت وليس فى وسعه ان يستمر فى الحرب زمناً طويلا ما دام الخطر محدقا به من هذه الناحية .

وقد رأينا الجزر البريطانية تفتتح اكتتابا لجمع ١٥٠ مليوناً من الجنيهات لبناء اسطول حربى ، ونحن لا نشك قط فى ان المبالغ التى ستجمع ستفوق المبلغ المحدد للاكتتابات ، فالشعب الانكليزي يسير على هدى ايمانه بالحق والحرية وهو يسترخص التضحيات مهما غلت فى سبيل اعلاء كلمة الحق والفوز فى هذه الحرب . ولعل الناحية المهمة فى تضحيات الانكليز لم تبلغ مسامع الكثيرين ، وهي قبولهم بضريبة الدخل الباهظة التى بلغت حداً عظيما بحيث لم تترك لكبار الاغنياء شيئاً من ارباحهم ، بل قدموها للحكومة راضين مغتبطين اذ يرون انفسهم قادرين على ان يساهموا بقسط من مجهود الشعب لكسب الحرب .

ونجد مقابل هذه الاعمال الباهرة ، الحكومة الالمانية تصدر قانونا صارما بقصد ارغام الشعب على . . . . تقديم الثياب والكسوة والاحذية للجنود ، مهددة من يتقاعس او يقدم نوعا رديئاً او يحدث تخريباً فى التبرعات او يحول دون وصولها ، بالاعدام ! . . والفرق ظاهر ظهور الشمس ، فالبريطانيون يتبرعون والالمان يرغمون على التخلى عن امتعتهم تحت طائلة الاعدام . فكيف يريد هتلر ان ينال النصر والشعب الالمانى لا يضحي اذ ليس لديه ما يضحي به او انه

مضاجعهم مما يحملهم على ابقاء قوات عسكرية ضخمة فى تلك الاقطـار . وهم يخافون ذلك ان يقدم الحلفاء على غزو القارة الاوروبيـة ولذلك لايجرأون على تخفيض حامياتهم واستعداداتهم وحشودهم ، وقد جاءت الضربة التي وجهها الاسطول والطيران البريطـانيان الى جزيرة رودس صفعة مؤلمة جـداً لدول المحور اذ اثبتت ان الذي يملك اسطولا قويا وسلاحا جويا قاهراً هو الذى يدير دفة الحرب كما يشاء ويوقع بخصمه الهزيمة المحققة وان طـال الزمن . وقد صرح الاميرال السر روجر كيز « ان كل شيء يتوقف على القوة البحرية » واعلن عن اعتقـاده بان الاسلحة الثلاثة للحلفـاء ، وهي الجيش والاسطول والطيران ، قد اقترب الموعد الذى ستتعاون فيه للقيـام بالاعمـال الهجومية ضد الالمـان واليابانيين .

والامر الثانى هو : ان اليابانيين بلغوا الذروة في مقدرتهم الحربية الهجومية ، واصبح لزاما عليهم ان يتلقوا الضربات القاصمات ان لم اقل هجمات عنيفة واسعة النطاق . والحلفـاء اليوم يتعاونون تعاوناً وثيقاً فى الشرق الاقصى ، وتلقوا امدادات من كل جهة بحيث يجوز القول ان لهم السيادة المطلقـة على الجبهات التي حشدوا جموعهم واسلحتهم فيها . اما اليابانيون فقد طالت مواصلاتهم البحرية حتى لم يعد فى وسعهم صيانتها وبالاخص بعد ان اصيبوا بعدة نكبـات في اسطولهم وسفن نقلهم ، وستزداد هذه النكبات قسوة وعنفاً فى الايام المقبلة . ولا يوجد شك مطلقاً فى ان اليابان ستعجز عن سد الفراغ فى قواتها واسلحتها لكثرة ماسيصيبها من الخسائر . ومن العبث اطالة

يرفض التضحية ؟

وانظر الى الجندي البريطانى كيف يأكل ويلبس ويعتنى بصحته فلا تنتشر فى الجيش امراض معدية ، بل ان القيادة البريطانية لا تهتم بصحة الجنود وحدهم ، بل تهتم ايضا بصحة السكان الذين يقيم الجنود فى اقطارهم. واعتقد ان الانباء ترامت اليك عن انتشار الحميات الخطرة بين الجيش الالمانى وسكان الاقطار التى يحتلها ، ويرجع ذلك الى قسوة الفتح وشيوع الخراب فى تلك الاقطار وصعوبة حصول الجنود على الادوية والخدمات الطبية الكافية يضاف الى ذلك ان قلة التغذية تساعد على الاصابة بالامراض ، والشعب الالمانى ان لم يصب حتى الآن بالمجاعة المهلكة فهو فى الطريق اليها ولم يبق بينه وبينها الا مرحلة قصيرة . اما الشعوب المقهورة على امرها فقد بلغت الغاية واشرف بعضها على الهلاك من قسوة النازيين الذين اعتدوا عليها وسلبوها حريتها وارزاقها ، والانباء عن البؤس الحال بتلك الشعوب بلغت كل انسان وأثارت ضمير كل ذي ضمير .

نعم . لا ينكر احد ان الشعب الانكليزي لم يعد ينعم بما كان ينعم به ايام السلم . ولكن ما من شك (حتى ان الالمان اعترفوا بذلك) فى ان الانكليز اليوم اهدأ الشعوب بالا واكثرهم اطمئنانا الى حصولهم على كل ما يحتاجون اليه. فالحكومة منهم واليهم وعنايتها بمختلف طبقات الشعب بلغت الحد الاقصى ، وفى الجزر البريطانية من المواد الغذائية ما يكفيها اجلا طويلا، يضاف الى ذلك ان مواصلاتها البحرية مضمونة وهي قادرة على جلب المواد الرئيسية والثانوية دون ان تتكبد خسائر تذكر ، بفضل سهر اسطولها القوي الجبار وسفنها الكثيرة. زد على ذلك سفن الولايات المتحدة ، بل سفن اميركا كلها والاقطار المتحالفة .

التكهن عن المكان الذي سيوجه الحلفاء اليه ضربتهم القاضية فى الشرق الاقصى ، لكنا نسمع المصادر العليا تؤكد انهم سيبدأون هجماتهم عن قريب.

والامر الثالث وهو المهم : معركة الانتاج التي ارتعدت لهافرائص الالمان فى الحرب الماضية وترتعد لها فرائصهم في هذه الحرب . ويجدر بي ان اذكر القراء بخطاب القاه المستر اتلي نائب رئيس الوزارة البريطانية فى الاسبوع الماضي عن الانتاج الحربى في بريطانيا ، وقال فيه ان انتاج المهمات الحربية يبلغ الآن عشرة اضعاف ما كان عليه عند ابتداء الحرب ويصنع الآن من الدبابات خمسة اضعاف ما كان يصنع منها عند سقوط فرنسا وضعفي ما كان يصنع منها قبل ستة اشهر ، وقس على ذلك صناعة السفن اذ انزل منها الى الماء فى الاشهر الثلاثة الاخيرة من العام الماضى اربعة اضعاف ماانزل فيالاشهر الثلاثة التي سبقت اعلان الحرب . ومن البديهى ان الانتاج ازداد كثيراً بعد ذلك التاريخ وسيظل فى ازدياد . وهناك اميركا «ترسانة» الحلفاء التي لاتنضب ولا تقف عن العمل وانتاجها الحربي بعد ان يتم تحويل جميع مصانعها الى مصانع حربية سيفوق حد التصور . والمراكز الصناعية . فيالدولتين الحليفتين بعيدة كل البعد عن التأثر بالغارات الجوية ، وهي اليوم اهدأ وآمن بعد ان تم التفوق الجوى لبريطانيا. اضف الى ذلكانتاج روسيا والهند والممتلكات المستقلة ،وهو يفوق انتاج المانيا وحليفاتها والاقطار الخاضعة لها اضعافا مضاعفة بفضل وفرة المواد الاولية والايدي العاملة والثروة والاخلاص فى العمل وتصميم كل واحدمن ابناء الحلفاء على كسب الحرب .

واذا حاولت ان الخص للقارىء الموقف الحربي بوضوح وجلاء فاني الفت نظره الى امور ثلاثة : الاول ان الهجوم الروسي لم يضعف بل ازداد عنفاً وقوة . والالمان يخسرون كل يوم الالوف بين قتيل وجريح عدا المعدات الحربية الوافرة . وقد قامت الادلة على ان هتلر قذف بقسم كبير من معداته التي جهزها لحملة الربيع وبالاخص من الجنود والطيارات والدبابات ، فذهب ما قذف به الى الميدان طعمة للهلاك . وبتنا نسمع اصواتاً من برلين تقول ان حملة الربيع قد لا تبدأ قبل آخر ايار المقبل او قبل شهر حزيران الذي يليه . واشيع كذلك ان هتلر اضطر الى النزول عن كبريائه وخيلائه فاستدعى المارشال فون براوشيتش الذي عزله قبل شهرين من القيادة العليا لاستشارته في الموقف الحربي ، وقيل كذلك ان الجيش ارغم هتلر على ارجاع عدد من كبار القواد الى مناصبهم ، ولكن هذه الاشاعة لم تتأكد ، وهناك عوامل تفسد استعدادات هتلر وتعطلها فالطائرات البريطانية لا تني تقذف المناطق الصناعية ومراكز خطوط المواصلات ومصانع تكرير الزيت باطنان القنابل كل يوم وليلة ، وبلغ من قوة سلاح الجو الملكي انه صار يغير على الاقطار المحتلة وعلى غرب المانيا في وضح النهار ويسقط الحمم التي يحملها على شرايين المانيا الحربية ، ثم هناك سرعة تقدم الروس وشدة بأسهم بحيث ارغم هجومهم العنيف الالمان على تضحية قسم لا يستهان به من قوامهم الاحتياطية . يضاف الى ذلك ان الحركات الوطنية في الاقطار المحتلة تضايق النازيين وتقض

ايها القارىء العزيز

لقد وضح الصبح لذي عينين ، واصبحا الحلفاء يصعدون قمة التفوق فى كل شيء وما هو الا القليل حتى يبلغوها ، وعندئذ يلاقي اعداء الدين والحضارة والانسانية جزاء ما اقترفته ايديهم الملطخة بدم الابرياء . وما ربك بغافل عن الظالمين .

واذا كانت دولة الظلم ساعة ، فدولة الحق الى قيام الساعة

والسلام عليك . والى اللقاء فى الاسبوع القادم

■■■■■■■■

